

جرائم الاستعمار الفرنسي (معتقل كاليد و نيا انموذجا):

French colonial crimes (Caled and Nia detention center as a model):

عبد الكريم قرين *
جامعة 8 ماي 1945 م قالمة – الجزائر
karimgrine.55@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/22. تاريخ القبول: 2020/10/26 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص: لازال جزء من شعبنا يحمل مشاعر الانتماء إلى الوطن، وهو الذي أُبعد قسرا عن الأرض الأم في رحلة مهولة عبر البحار ليُلفظ هناك أنفاسه على بعد آلاف الكيلومترات، لقد رُجل الجد الى غربة لم يُردها، لأنه رفض القبول بتواجد الفرنسي الظالم المغتصب على أرضه، فقاومه بكل ما أوتي من سلاح، وحين لم يتمكن الوغد الفرنسي من تهدئته وتدجينه، قذف به مُكبلا في أحشاء باخرة، الى حيث يغيب عن ناظره السهل والجبل والمنزل والشجرة، وكل ما يذكره بأنه ابن الأرض. ألا سحقاً ودماراً للظالم الفرنسي فكم مزقت أنيابه القذرة جسد هذا الشعب الكريم الأبّي. إذ أن فرنسا بعدما أخمدت ثورة المقراني والشيخ الحداد، قامت بمحاكمات صورية وقضت بإبعاد الأسرى إلى كاليدونيا الجديدة الواقعة في المحيط الهادي والتي يتطلب الوصول إليها قطع بحار ومحيطات بدءا من البحر الأبيض المتوسط مروراً بالبحر الأحمر عبر قناة السويس فالمحيط الهندي المترامي الأطراف وصولاً إلى المحيط الهادي أكبر المحيطات مساحة في الكرة الأرضية، وهناك انقطع أي اتصال بين المبعدين وأهاليهم، وراحوا ضحية التاريخ والجغرافيا.

كلمات مفتاحية: الاستعمار، الجزائر، كاليدونيا، معتقل، جرائم، جزيرة

Abstract: A part of our people still carries feelings of belonging to the homeland, and it is he who was forcibly deported from the motherland on a terrific journey across the seas to breath there thousands of kilometers away. The grandfather was deported to an estrangement that he did not want, because he refused to accept the presence of the unjust French usurper on his land, so he resisted him completely. No weapon was given, and when the French scoundrel was unable to calm him and tame him, he threw him in his handcuffs in the bowels of a steamer, to where he misses the plain, the mountain, the house, the tree, and everything that reminds him of being the son of the earth. Is it not a smash and destruction of the French oppressor, how much his filthy teeth tore the body of this honorable and proud people. As France, after suppressing the revolution of al-Muqrani and Sheikh al-Haddad, carried out mock trials and ruled the deportation of prisoners to New Caledonia, which is located in the Pacific Ocean, and access to which requires cutting seas and oceans starting from the Mediterranean through the Red Sea through the Suez Canal, the vast Indian Ocean reaching the Pacific Ocean is greater. Oceans are an area on the globe, and there was no contact between the deportees and their families, and they became victims of history and geography.

Keywords: Colonialism, Algeria, Caledonia, prison, crimes.

ظل اليهود، وإلى زمن قريب يتهمون مورييس بابون Maurice paon، والذي صدر في حقه اتهام في 19 جانفي 1983م، من طرف منظمات يهودية، وهذا الاتهام يندرج ضمن ما يسمى بالجرائم ضد الإنسانية. أما الجرائم التي ارتكبتها الفرنسيون ضد الشعب الجزائري في الجزائر، وفي المهجر فقد سكت عنها، أو بالأحرى سكتنا عنها نحن لان ذاكرتنا ضعيفة ويعتريها النسيان في غالب الأحيان، فاليهود لم ينسوا أبدا مورييس بابون فهم وراءه متهمين إياه بالمشاركة في ترحيل مئات اليهود إلى المحتشدات النازية عندما كان مورييس بابون الكاتب العام لمحافظة الشرطة في 1942 تحت الاحتلال الألماني ولا تزال لعنات اليهود تطارده، ولكن نحن نسينا ما فعلت فرنسا بالجزائريين الذين هجروا قصرا وظلما.⁽¹⁾ إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة.

وانطلاقا من هذا، سنعالج في هذا البحث موضوع جرائم الاستعمار الفرنسي في جزيرة كاليدونيا معتمدين على فكرتين أساسيتين وهما، المنفيون الجزائريون، وكيف أرغموا على ترك وطنهم الأم، والفكرة الثانية هل يحق للأحفاد مطالبة السلطات الفرنسية بحق التعويض لما ارتكبه فرنسا من جرائم ضد الإنسانية يندا لها الجبين، وهل تكفل حقوق الإنسان الدولية هذا الحق.

تعرضت الجزائر لاستعمار استيطاني همجي حاولت فرنسا من خلاله تعويض شعب بشعب، وجعلت من هذا البلد جزء لا يتجزأ منها. ولتحقيق هدفها استعملت كل الوسائل العسكرية المتطورة، وأساليب أخرى، وذلك في محاولة منها محو مقومات الشعب العقائدية والروحية، وأنشأت إدارة لكبت حقوق الشعب وتحتطيم معنوياته، وتفتيت وحدته بزرع خلافات بين أفرادها. تطبيقا لسياسة فرق تسد، ومن أجل هذا تأهب الشعب دفاعا عن الأرض والشرف. ودخل في صراع دائم مع فرسا، والدليل على ذلك، تلك الانتفاضات والثورات الشعبية، التي دامت قرابة قرن من الزمن.

ففرنسا الحضارية كما تدعي، وأنها جاءت لإخراج الشعب الجزائري من همجيته نشر جنرالاتها الرعب والذعر والخراب والموت بقيامهم بأعمال إجرامية في حق إنسانية هذا الشعب ومن أمثالهم كثيرون: دي بورمون، بيجو، فالي، ماكماهون وكلوزيل.... لقد فتكوا بالشيوخ، والنساء والأطفال واحرقوا المئات من القرى والدواوير وألا لاف من الأشجار. وقاموا بعدد من الإبادات الجماعية التي تعتبر اليوم في القانون الدولي جرائم ضد الإنسانية. أين هي فرسا الحضارية أين ذهبت شعارات ثوراتها المطالبة بحقوق الإنسان والحرية في العيش. ولماذا يعتبر جل الفرنسيين أن الثورات الشعبية ماهي إلا جهاد عقائدي تعصبي لا علاقة له بالوطنية ما دام معظم قواد هذه الثورات من مشايخ الطرق الصوفية، لكن عندما وجد الشعب أن أرضه تغتصب وعرض ينتهك حتم عليه أن يثور ويجد من يقوده للدفاع عن مقوماته الوطنية.

الحملة الفرنسية ضد الجزائر ما هي إلا حلقة من حلقات الحروب الصليبية لحماية البحر المتوسط والعالم القديم من القرصنة الاسلامية كما يتداول ذلك في أوربا، وهي فكرة راودت أذهان العديد من ملوك فرنسا، حتى وصلت نابوليون بونابرت الذي خطط الاحتلال الجزائر بعد التقارير التي وصلتته من الجاسوس بوتان سنة 1808م والقاضية بإنزال القوات الفرنسية.

الم توهم فرنسا مرارا، أن احتلالها للجزائر سيدخل في حماية القيم الحضارية والتعاليم السمحاء للمسيحية، وتحضر الشعب الجاهل وتخرجه من براثن الحكم العثماني، و الواقع أن فرنسا كانت تبحث عن تبرير استعمارها للجزائر، والتخلص من ديونها كما أنها بعملها هذا ستحافظ على النظام العام بفرسها التي كانت في تلك الفترة تعاني أزمات البطالة وزيادة في السكان وفائضا في إنتاجها الصناعي وهو ما أكدته المارشال جيرار سنة 1830م قائلا "الحكومة الفرنسية عازمت على الاحتفاظ بالجزائر لفتح ارض واسعة للفائض من سكانها ولتسويق إنتاج مصانعها"⁽³⁾

فالحملة الفرنسية تدخل في إطار حركة استعمارية شاملة نتيجة لما ألت إليه الجزائر من ضعف وجمود ثقافي واقتصادي، وما وصلت إليه فرنسا بعد نجاح الثورة الصناعية بأوروبا في القرن الثامن عشر من تطور أدى بورمون" القائل انه سيحتل الجزائر في اقل من خمسة عشر يوما استناد منه لتلمل الذي أصاب التركيبة التركية، إلا انه أخطأ في تقديره ووجد أمامه رجال شجعان لا يركعون إلا لله ويحبون الاستشهاد في سبيل الله من اجل الوطن. كالشيخ الحداد والمقراني وكفاحهما ضد الاستعمار.

فثورة 1871م التي تعد من أهم الثورات الشعبية وأكثرها انتشارا وتهديدا لفرنسا في وقت ظنت أنها أنهكت البلاد والعباد. ولكنها تفاجئوا باشتعال ثورة أخرى بعد مضي أربعين سنة عن احتلالها الجزائر وثورة المقراني والشيخ الحداد وهي النقطة الأولى التي سنتطرق إليها.

1- ثورة المقراني والشيخ الحداد (1871-1872):

1-1 دوافعها وأسبابها:

أن اندلاع ثورة 1871م كان متوقعا، وقد لاحت مؤشراتهما في الأفق منذ زمن، وكان الشعب الجزائري ينتظروا قيامها من حين إلى آخر، ولقد رسخت ذكراها في الأذهان طوال الحقبة الممتدة بين 1891-1971م لذلك وجب علينا دراسة الأسباب والدوافع وراء اندلاعها.⁽⁴⁾

أولاً. كانت الإمبراطورية الفرنسية الثانية تقوم بعملية تهجير واسعة لأوروبيين من فرنسا وأوروبا نحو الجزائر. بهدف التوطين والتوسع الاستعماري، وصحب عملية التهجير الاستيطان و، مصادرة أملاك الجزائريين من أراضي وعقارات، وقطعان المواشي، لتمليكها لمهاجرين الذين، كان أغلبهم محكوم عليهم بسوابق عدلية في فرنسا. وجيء بهم أرض الجزائر لتخلص منهم، ولاستغلالهم في حركة التوسع الاستعمارية.

نتيجة هذا العمل، تضاعف البؤس والحرمان والشقاء في أوساط المجتمع الجزائري وهو يشهد أن أرض تغتصب من طرف أناس غرباء، والغريب في الأمر أن حكومة الإمبراطورية الثانية، ونابليون الثالث بذات، كان يتظاهر ما دعي "بالسياسة العربية" والتي تستهدف حماية الجزائريين وأملاكهم، ومقاومة تسلط المعمرين عليهم، وإنشاء ما سمي "بالملكية الشخصية العربية"، ويكفي الإنسان تصفح جريدتي، المبشر والأخبار الصادرتين في الجزائر في ذلك الوقت ليشهد، كيف صدرت الأراضي من أصحابها و منحت للمهاجرين الأوروبيين، وهذا ما يؤكد تفاهة السياسة الاستعمارية القائلة أنها تحمي أملاك الجزائريين.⁽⁵⁾

ثانياً. اتبعت السلطات الفرنسية في هذه الفترة، تطبيق سياسة تحطيم نفوذ الأسر والعائلات الجزائرية الكبيرة ذات السمعة والمكانة في البلاد، بعد أن نالت منها غرضها ومن بين الأسر التي عملت فرنسا على استمالتها أسرة أولاد سيد الشيخ في الجنوب الوهراني، وأسرة ابن قانة في بسكرة والزيان، وأسرة المقراني في مجانة، وأسرة قاسي في تيزي وزو، أسر أخرى، ومنحت لرؤساء هذه العائلات ألقاب مثل لقب الخليفة وشيخ العرب، وأعطتهم امتيازات واسعة إدارية واقتصادية.⁽⁶⁾

وقد أكد هذه الفكرة لويس رين وقال بان رؤساء هذه الأسر لم يريدوا أن يفهموا بأنهم جيء بهم لخدمة السلطات الفرنسية وتنفيذ أوامرها⁽⁷⁾

وما دمنّا نتكلم عن ثورة 1871م، سنأخذ عائلة المقراني أنموذج لهذا التحطيم والإذلال. فزعيم هذه الأسرة الحاج أحمد المقراني، والد الباشاغا، شارك مع القوات الحاج أحمد ياي في مقاومة حملة الاحتلال على العاصمة سنة 1830م، وحملة الغزو الفرنسي على قسنطينة سنة 1837م، وظل خارج عن طاعة الفرنسيين إلى غاية صيف عام 1938، ولم يستسلم إلا بواسطة صديقه بوعكاز بن عاشور شيخ فرجية والذي قدمه إلى الجنرال قالبوا، فأُسند إليه هذا الأخير مشيخة مجانة في شهر جويلية وقلد منصب الخليفة على مجانة في 30 سبتمبر 1938م، وامتدت حدود خلافته من فرجية شرقا وحدود منطقة شيخ العرب ببسكرة في الجنوب، ومنطقة التيطري غربا.

وكان من المفروض أن يظل نفوذ المقراني قويا واسعا، ولكن السلطات الفرنسية وبعد سنة 1940م أخذت تضعف من قوة شوكتة وتقلص نفوذه. فنزعت منه جانب من منطقة واد الساحل والوا نوغة الغربية، ونصبت عليها قوادا جددا، وإخضاعهم إلى سلطتها المباشرة. وفي عام 1849م أسست السلطات الفرنسية مركزا عسكريا للحراسة في بوسعادة، وعينت فيه فرنسيين ليشرفوا على حكم وإدارة جانب من سكان منطقة الحضنة (8) وعندما توفي الخليفة الحاج احمد المقراني عام 1853م خلفه ابنه محمد بلقب الباشاغا وهو لقب اقل شان وقيمة ونفوذا من منصب الخليفة، وفي عام 1860م تلقى الباشاغا محمد رسالة قاسية من طرف الجنرال ديفو، بسب مساعدة هذا الأخير صديق ولديه بوعكاز بن عاشور في أزمتة السياسية نتيجة ثورة حصلت في منطقة فرجيوة في نفس العام، وقد استدعي شخصا لإجابة على بعض الأسئلة من بينها اجتماعه مع بين عمومته في الدريعات خلال اجتماع عائلي وهو ما يستنتج أن الفرنسيين كانوا غير مرتاحين لمحمد باشاغا.

بهذا الأسلوب بات واضحا، أن السلطات الفرنسية بدت جاهزة لتحطيم أسرة الباشاغا وتقليص نفوذها، ومن الطبيعي لهذه السياسة رد فعل سيء لان الباشاغا وان أرغمته الظروف. على مسايرة السلطة الاستعمارية، والعمل تحت سلطتها، إلا أنهم ليسوا أحجارا، بل هم رجال ذوو إحساس وكرامة وطنية، ولا يقبلون الهاون، وذلك من ضمن أسباب ثورة 1871م⁽⁹⁾

. **ثالثا** سياسة إبادة الأهالي التي اتبعتها فرنسا بعد أن ائلف جنودها المحاصيل الزراعية، واتوا على الأخضر واليابس، لم يبق عند الجزائريين ما يأكلون " في مدينة الجزائر حيث يوجد عدد كبير نسبيا من الأفراد الواجب تغذيتهم. تظهر لك حشود من الأطفال الصغار وقد رمى بهم الجوع إلى الشوارع للبحث عما يقتاتون به"⁽¹⁰⁾

يتساءل الإنسان كما كانت فرنسا بشعة من خلال تطبيق سياسة الإبادة الأهالي لم ترع حتى الأطفال الصغار. ضف إلى ذلك سلوكيات وتصرفات الجيش الفرنسي، وما خلفه من ضحايا مابين 1830م و 1860م عد كبير من الضحايا بواسطة المعارك و تهديم قراهم ومدنهم حتى وصل عدد المهاجرين من مدنهم قرابة المليون.⁽¹¹⁾

رابعا- لم تكن العمليات التي قامت بها القوات الفرنسية محصورة على الجانب القتالي فحسب. فطبيب كان يرافق إحدى الحملات يقول " بينما كان الليف يتقدم ببسالة وإقدام على مرتفعات الجبال، كنا نحن نقطع نخيل البساتين وقد خربنا مدينتهم وقلبناها راس على عقب، كما أفرغنا مطاميرهم من القمح والشعير، وأتلفنا

مزروعا تهم، وخرقنا مناسجهم التي يحكون عليها وقطعنا كل أشجارهم المثمرة وأخذنا ممتلكاتهم ذات القيمة التي يمكن أن يستعملونها كعملة لمقايسة القوت، فبقوا على قيد الحياة.⁽¹²⁾

إن الظروف التي ذكرناها سلفا كافية لإشعال فتيل أية ثورة في العالم، ولكن رغم ذلك هنالك أسباب أخرى دفعت بالأهالي لقيام بثورتهم، ويمكن إيجازها فيمايلي:

مست مأساة المجاعة الأليمة، التي حصلت سنتي 1867 و 1868 وراح ضحيتها الآلاف من الجزائريين، ولم تقدم السلطات الفرنسية أية مساعدات للمنكوبين، بل على العكس من ذلك تركتهم يصارعون مصيرهم المؤلم، مما، وبهذا اقتنع الباشا أن هذه السلطات لا يهتمها سوى حماية مصالحها. فأحدث ذلك في نفسه جرحا عميقا لم يستطع ان يصبر عنه وهو وأمثاله من زعماء الأسر الجزائرية.⁽¹³⁾

كما تعرضت الجزائر لغزو أسباب من الجراد في عام 1864م، واخذ هذا الغزو منحنا خطيرا حتى سمي بعام الجراد ، حيث عبرت أفواج الجراد جبال الأطلس من الجنوب ال حقول الشمال و مزارعه وفي طريقه أت على الأخضر و اليابس من أشجار الخضر و الفواكه، ففقد الناس إنتاجهم وتعرضوا لضائقة مادية ، ومع مطلع عام 1866م انتشر وبشكل رهيب وباء الكوليرا و التيفوس ، ومع انتشار هذا الوباء اخذ الجزائريون يموتون بالجملة وفي القرى والطرق، مم أرغم السلطات الفرنسية إلى حفر خنادق عميقة تدفن فيها الموتى وذكر الأب بورزي" أن عدد الضحايا من الجزائريين يصعب تقديره، وان الذين ماتوا خلال شهرين فقط قد يصل إلى مائتي وخمسين ألفا"⁽¹⁴⁾ أما في مدينة بسكرة" فقد مات أكثر من ألف مواطن خلال مدة خمسة عشر يوما وذلك ما بين 15 و 30 يوليو عام 1867م⁽¹⁵⁾

بينما الأهالي يعانون من ويلات المجاعة زاد وانتشار الأوبئة، وحدثت الكوارث الطبيعية مثلما حدث زلزال عام 1967م، اخذ اليهود يستغلون الفرصة لتنمية ثروتهم وأرباحهم عن طريق القروض التي كانوا يقدمونها للمنكوبين بفوائد عالية، وهم اليهود دائم أصحاب مكر ودهاء.⁽¹⁶⁾ بالإضافة إلى دور اليهود، سعت الكنيسة المسيحية لتتمسح الأطفال واليتامى على إثر المجاعة التي أصابت الجزائريين غرضها تحطيم مقدساته ومقوماته ومحاربة الدين الإسلامي. وبالطبع فقد تألم الباشا من تصرف هذه الإدارة الاستعمارية وزاد حقه عليها.⁽¹⁷⁾ زيادة على ذلك أصدرت الإدارة الفرنسية في 24 اكتوبر سنة 1970 م قانون كريمو، الذي أعطى امتيازات واسعة لليهود في الجزائر ليزيد على الطين بلة كما يقال، في أوساط المجتمع الجزائري، وبهذا تكتمل دوافع وأسباب نشوب ثورة 1871م.

عندما تدهورت الأوضاع في الشرق الجزائري طلب الشيخ محمد المقراني من السلطات الفرنسية أن تقبل استقالته ، ولكنها ردت عليه برفض ، وطلبت منه تقديم استقالت أخرى تتضمن تعهد منه ، أن يبقى مسؤولاً عن كل ما يحدث في منطقته إلى حين رد الجواب عن الطلب بالقبول أو الرفض فاعتبر المقراني هذه الإجابة بمثابة تحدي له وإهانة بالغة فأعلن الثورة ، وحمل السلاح في يوم 16 مارس 1971م وقام بمحاصرة مدينة برج بوعريش إلا أن القوات الفرنسية نجحت في فك الحصار على المدينة يوم 26 فيفري 1871م. وفي يوم 8 ابريل انضم الشيخ الحداد إلى الثورة ودارت معارك عديدة وكثيرة بين الثوار و القوات فرنسية ومن بينها معركة 12 ابريل بقرب جبل تفارطاست. ومعركة أخرى يوم 5 ماي 1971م، حيث واجهت قوات الشيخ المقراني قوات الكولونيل تروملي الذي كان يحكم منطقة سور الغزلان.

بينما خفت شدة المعركة قليلا اغتتم الشيخ الفرصة لأداء صلاة الظهر مع رفاقه، وهو قائم في تأدية الصلاة فجاءه جنود الزواف الذين كانوا يراقبون الثوار من بعيد، فأصابوه في جبهته وسقط شهيد وهو وثلاثة من رفاقه. أما الشيخ الحداد، والذي فقد استطاع أن يكون جيشا يصل تعداده 120.000 مجاهد (في حين ان جيشا المقراني لم يكن يتجاوز 25000مجاهد) وخاض معارك هو الآخر طاحنة في وجه العدو الفرنسي بحيث أحدث في صفوف القوات العسكرية الفرنسية. ولكن الشيخ الحداد الذي انضم إليه العديد من المجاهدين ومن مختلف مناطق الوطن رغم هذا لم يتمكن من جمع السلاح الكافي وبذلك يتسنى له حسم المعركة لصالحه، ولهذا فشل الشيخ في إيقاف الزحف الفرنسي في جبال القبائل وتمكن الجنرال لألمان الفرنسي يوم 24 جوان من تفتيت العائلات، وحرق المنازل وإجهاض المقاومة الجزائرية.

كما تمكن الجنرال نفسه من اعتقال أبناء الشيخ ، وهو محمد امزيان الحداد ، ثم اعتقال الشيخ نفسه بعد عشرة أيام ، وإرساله إلى بجاية .وكان لاستسلام الشيخ الحداد أثره على معنويات القائد احمد بو مزراق شقيق الباشاغا المقراني، وقد حاول بو مزراق أن يخلق الانسجام بينه وبين قادة الإخوة الرحمانيين ، ولكنه لم يوفق وفي 8 أكتوبر 1871م خاض بو مزراق معركة فاصلة مع القوات الفرنسية والتي قادها الجنرال سوسى بجوار قلعة بني حماد بناحية بجاية ،وانتهت بتغلب الفرنسيين على قواته ، واتجه صوب ورقلة أين التقى بالقائد بوشوشة من عائلة واولاد سيد الشيخ، وحين وجد أن قواته أصبحت غير قادرة على المواجهة، حاول إيجاد مكان آمنا يلتجئ إليه ، ولكنه تاه في الصحراء، واكتشف من طرف دورية فرنسية في يوم 20 جانفي 1871م أمام بركة ماء قرية واحة الرويسات بورقلة ، وهو في حالة إغماء تمام ،ثم حمل إلى معسكر الجنرال دولا كروا بالرويسات ، وبعدها هجر إلى جزيرة كاليد ونيان الجديدة أين قضى 30 سنة هنالك إلى أن وافته المنية في تلك الجزيرة (19)

لإشارة فقط فقد يجد القارئ أننا لم نقم بتحدث بتفصيل التام، عن مجريات وأحداث الثورة ولذلك لأننا في موضوع مداخلتنا نحاول أن نستعرض كيف كان لهذه الثورة الدور الأساسي في ترحيل العديد من الجزائريين إلى جزيرة كاليدونيا، فتورة هذه مليئة بالمعارك الباسلة ضد الاستعماري وما ارتكبه من جرائم لا يمكن أن يتصورها عقل الإنسان اليوم بغض النظر عن جريمة التهجير، والتي سيأتي الحديث عنها في المحور الثاني، ويمكن للباحث أو القارئ أن يتساءل عن مدى أثر ثورة 1871م.

1-2 نتائجها وأبعادها:

أ- الآثار السلبية

بعد القضاء على الثورة ن وتحكم المستعمر الفرنسي في الوضع ، جاء دور الانتقام الأعمى من الأهالي الأبرياء ، والصبر س ، فسلط عليهم شتى أنواع التعذيب وفنونه، ومصادرة أراضيهم وزيادة على كل هذا وذاك الإعدام ، والنفي إلى أماكن بعيدة عن أوطانهم ، والأعمال الشاقة التي طالت كل مشبه دون رحمة ولا شفقة فكان الخطب عظيمًا و المصيبة اكبر، والصبر سلاح المؤمنين، والذي تحمله عامة الجزائريين ، ناظرين الله فرج الكرب موكلين أمرهم إلى الله ، الذي لا تنام عيناه، مدركين أن خسران معركة لا يعاني خسران الحرب ، فالحرب طويلة مع فرنسا تتطلب تضحيات جسام بأعداد من أجيال وأجيال مقينين أن النصرات لا محال ، وما نصر ، الا مكافأة من عن الله على صبر الجزائريين وقوة إيمانهم.

ب - سياسة القمع وأساليب الحجز:

يجمع المؤرخون على الاعتراف "بان القمع الذي أعقب الثورة قد تم تسليطه على جموع الأهالي بدون أي تحفظ، وهذه بعض الشهادات من كان حاضرا في ذلك الوقت " كان القمع رهيبا، تجاوز في نظر الكثير مقدار الجرم المرتكب L. Rhinn ، بل هو أشبه بعملية انتقام منه إلى معاقبة تتناسب مع ما ارتكب من جرائم "Colonel robin ، وهذه شهادات من جانب العدو نفسه صف إلى هذا أن الصحافة الغربية كانت تدعو إلى إبادة جماعية تجاه الأهالي.⁽²⁰⁾

ج - تنصيب محاكم وهمية:

يخطأ من يعتقد بان القضاء على أية ثورة، وهو ضرب رؤوسها. أن فكرة الثورة والتحرر والعنق من نير الاستعمار ، كانت كامنّة في نفوس ن وعقول الجزائريين الأحرار و الشرفاء ، لا شيء إلا أنها قضية وطن واحد ، وشعب بأكمله، ولا يخص طبقة دون أخرى ن او جهة دون جهة أخرى ، فهو خطأ استراتيجي وقع فيه

العدو الفرنسي حين ألصق الثورات بأصحابها وادعى أن الفقر و التعصب و الجهوية ، كانت الأسباب الرئيسة لكل الثورات، لذلك وضع مخطط لتصفية كل رؤساء هذه الثورات ولكن فرنسا الغبية اخطأت التقدير ففي كل عائلة جزائرية يولد قائد يحمل الراية من اجل الاستقلال ، وصدق من قال "بان الاستعمار تلميذ غبي لا يستقرا التاريخ ولا يستفيد منه ، أمام الشعوب فقيرة وأمية ، ولكنها بالفطرة والسليقة ن تأبى الحياة من دون أصالتها ، وهويتها ن ومهما تبدلت الأحوال وتغيرت الأسباب تبقى محافظة على عاداتها وتقاليدها⁽²¹⁾

فصدر حكم الإعدام في حق الإخوة الخمسة للمقراني ، وابنه من طرف المحكمة ، والنفي الى جزيرة كاليدونيا الجديدة ن فابقوا هنالك إلى غاية السماح لهم بحق العودة سنة 1927م⁽²²⁾ كما لم ترحم العدالة الفرنسية الشيخ الحداد رغم طعنه في السن ، كان ذلك بعد مرور أربع وعشرين يوما من صدور الحكم بالإعدام ضد البطل المغوار بو مزراق فصدرت الأحكام على الشيخ الحداد وابنيه سي عزيز يوم 19 ابريل 1873م ، فحكم على الشيخ بالسجن الانفرادي خمس سنوات وتوفي بعد خمسة أيام فقط في الزنزانة ونفي ابنه الى جزيرة كاليدونيا وهو ما تأكده رسالته التي بعثها من هنالك (انظر الملحق رقم 1) ، وحكم على أخيه بسجن لمدة عشر سنوات.⁽²²⁾ وكذلك نفي الشيخ محمد الشريف الذي كان من بين المتجانسين ، فأحيانا لا ينفع التفاني في خدمة الاستعمار، وهو الآخر قدم للمحاكمة ونفي إلى جزيرة كاليدونيا شارك في ذلك كل من القائد علي اوقاسي بطل قبيلة عمراوة⁽²³⁾، ازداد كره وحقد المعمرين للجزائريين، بينما وجب أن يكون العكس لان الجزائريون هم أصحاب الأرض وأولئك المغتصبين لها، وتمنوا أن كل جزائري أن يقدم إلى المحاكمة فالسعادة في رأي المتعصبين الفرنسيين تكون على حساب الحق والعدل والحرية.

وراحوا يمارسون بغضهم وحقدهم، فارتكبوا أبشع الجرائم ، بقتلهم للجزائري و الترصد له بمجرد الشك ، ولم تطبق القاعدة القانونية القائلة، بان المتهم بريء حتى تثبت إدانته ، فأين هم من قانون العدالة التي ظلت فرنسا تتغنى بها دائم.. وبهذا يكونا قد قتلوا من مدينة باتنة لوحدها ستة وثلاثين جزائري في الباطل، ويصور لنا السيد ، مونتونيالك ، من جهة أخرى ، مجزرة ضد الإنسانية ، ارتكبتها فرنسا الاستعمارية في حق الأبرياء فقد أحصوا في إحدى المعارك ما لا يقل عن ألفين وثلاثمائة قتيل، من نساء وأطفال ورجال أما عدد الجرحى فهو غير معروف بتدقيق بسب بسيط أنهم كانوا لا يتركون الجرحى على قيد الحياة.⁽²⁴⁾

كلفت ثورة 1871م غاليا الشعب الجزائري، فكانت النتيجة وخيمة والعدد جسيم ما يقارب ستين ألف شهيد، ومحاكمة أكثر من عشرات الآلاف، وإعدام حوالي ستة آلاف جزائري والمفقودين حوالي 80500 جزائري عددا رهيب يدل ان الشعب كان تواق إلى الحرية وفك قيد الاستعمار وما هما كلفه الثمن.⁽²⁵⁾

. مصادرة الأراضي:

إن قانون الحجز الجماعي، والذي اقره الحاكم العام للجزائر في 31 أكتوبر 1845م، كان من بين اخطر القوانين التي عرفت الجزائر ، ففي كل مرة كان يعامل فيها الفرد الجزائري كمجرم حرب ليس كصاحب حق ، وكان المعمرون يعملون ما في وسعهم لتحويل أراضي العرش، وأراضي البايك إلى ملكيات فردية ، لذلك اغتنم المعمر الفرنسي فرصة ثورة 1871م بهدف الحصول على هكتار من الأراضي ،لتأسيس الملكية الفردية⁽²⁶⁾ ففي 25 مارس 1871م جاء قرار من طرف السلطات الحاكمة آنذاك بحجز ممتلكات المقراني والقبائل المساعدة له، وكذلك مصادرة اراضي عائلة الشيخ الحداد وابنه سي عزيز مما جعله يشعر بالمرارة حتى انه ذكرها في مذكراته.⁽²⁷⁾

. توطين الأجانب في المنطقة:

عملت السلطات الفرنسية، من جراء تطبيق النظام المدني، وفشل ثورة 1871م، ازداد عدد المهاجرين الأجانب الذين وجدوا كل الدعم والترحيب من النظام الاستعماري فأصبحوا مالكين لأرض ومسيطرين عليها، وأقيمت في منطقة القبائل مراكز سكانية أوربية جديدة، على جانبي الطرقات الرئيسية.⁽²⁸⁾

. محاولة تبشير المنطقة وتمسحيها:

عرفت الجزائر استعمار لم يسبق له مثيل، بحيث شمل كل القطاعات، وساهم كل على شاكلته، فشارك الطبيب و العسكري ورجل الدين والسياسي والمفكر و المؤرخ كل هذا من اجل غاية واحدة وهي صنعوا استعمارا جديدا في الجزائر، فمن نتائج ثورة 1871م ، أنها تعرضت إلى هدم لزوايا ومنها زاوية صدوق مقر الطريقة الرحمانية ، وفي المقابل ن تم تشجيع بناء الكنائس، وتقديم الدعم المادي لهان والغطاء السياسي لدور المباشرين في المنطقة ، فظهر تنصير رهيب في مطلع 1873.⁽²⁹⁾

3.1 الآثار الإيجابية:

إن المصائب والشدائد والمحن ليست شرا في كل الأحوال، بل هي فرص ومحطات، تكون أحيانا أكثر من ضرورة للوقوف وقفة تأمل ودراسة واستخلاص النتائج والعبر، وجعلها زادا قويا، للرجوع بالقوة إلى مراجعة الذات، وإعادة تحصينها لتبقى صامدة صمود الجبال الراسيات أمام كل خطر محدقا بها، لذلك فان ثورة

1871م ومن ورائها الطريقة الرحمانية، والتي تواجدت بقوة في قسنطينة، وفي منطقة القبائل، قد خرجت منتصرة ولو معنوياً. فتورة هذه، أصلت في نفوس أبنائها الروح الوطنية الصادقة والاستماتة في الدفاع على ارض الأجداد و الآباء، فاثبتوا إن منطقة القبائل مستعصية على الأعداء لتلاحم أبناءها، وحتى مراكز التبشير لم تتجح، وأصبحت هذه الثورة تقاوم الاستيطان الفرنسي، تحت راية الطريقة الرحمانية⁽³⁰⁾ والدليل على ذلك أن هذه الطريقة كانت حاضرة في ثورة الاوارس 1979م.⁽³¹⁾

إن ثورة عائلتي المقراني و الشيخ الحداد و التي اعتبرها الفرنسيون أنفسهم أنها كانت اخطر ، واشد ثورة هددت الكيان الفرنسي في وجوده واستقراره ، لذلك هب للقضاء عليها وقتل ونفي جل قادتها خارج الوطن والى جزيرة كاليدونيا بذات ،وهي جريمة ضد الإنسانية و التي سنحاول التحدث عليها في معالجة الفكرة الثانية من خلال مداخلتنا هذه ، ونحن في هذا الصدى لابد ان نشكر الأستاذ الفاضل الدكتور الصديق التاوتي ، الذي قدم عمل جليلا من خلال كتابه المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة و الذي اعتمدنا عليه بشكل كبير في تعرف عن هؤلاء المنفيين و أحفادهم الجزائريين الذين هجروا قصر ا وظلما.

2. أحوال الجزائريين في كاليدونيا الجديدة:

قام السلطات الفرنسية بتهجير العديد من الجزائريين عبر البواخر وحملهم كالغنائم، وذلك ما بين السنوات 1874 و 1875م و 1977م و 1878م وقد عد الجزائريين آنذاك بحوالي 120 فرد أكثر من ثلثهم فقد في كاليدونيا الجديدة في أوت 1895م لم يعثر سوى على 12 منفي، واغلب هم فروا من هذه الجيرة وعادوا إلى ارض الوطن منه سي عزيز ابن الشيخ الحداد وبعد قضى مدة هناك وبغ العفو الذي أصدرت السلطات الفرنسية عاد إلى الوطن ومراسلته من هناك تثب انه كان من الأوائل الذي شاهد ماذا كان يعانيه الجزائريين من أعمال شاقة⁽³²⁾

1.2 الأعمال الشاقة:

يروى لنا أحد السجناء مقطعا من إقامته هناك وهذا بعد طرح عدة أسئلة يقول «يومان بعد ذلك تفاقم وضعي، حيث زاد تعذيبي وشدت يداي وراء ظهري وعملت كالحيوان، أن ويضيف انه كان مربوط بشكل، إذا أراد الحركة فلا بد أن يجر قدميه أولا، وكذلك يمكن أن يبقى قائم دون تحرير يديه..، ويكتب متحدث عن مسؤول سجون الأعمال الشاقة أن في هذه السجون بلغ حدا لا يطاق من التعسف.⁽³³⁾، وقد عمل الجزائريون المنفيون معاملة أشدة قسوة، وهو ما عبر عنه العربي فرانسوا واسمه مغير لان السلطات الفرنسية

أجبرت المنفيين على تغيير أسماء آبائهم بأسماء مسيحية " يقول لقد كان المساء يعزف على نغم جلجلة تلك السلاسل التي بقيت علاماتها في جسد أبي حتى اللحد"⁽³⁴⁾.

2.2 معتقل كنير:

هو معتقل يوجد وسط جزيرة كاليدونيا، والذي كان مخصصا للفئة معينة من المعتقلين، أي الذين لا ينالون آية رحمة ولا شفقة بل المهددين بالهلاك والانتحار، لسوء التعذيب والمعاملة، إذ أن الدراسة المعنية تشير إلى ذلك المعتقل وهو في عنفوان الشباب، ففيه العديد من المعتقلين الذين انتحوا ومنهم من قطعت يداه وأرجله، وهذه الأحداث سجلها أحد ثوار 1871م في قصيدة شعرية في سنة 1895م أي بعد مرور ربع قرن من الثورة ويعتبر شاهد على الأحداث التي كانت تمارس ضدهم.⁽³⁵⁾

3.2 معسكر العرب:

هكذا كان يسمى حسب ما أورده كاتب هذه القصيدة وكان موجود في خوض Tenda والكائن في وسط المدينة وهو يصف صبرهم، أنهم كانوا يعيشون في داخل مزروعا تهم الضعيفة، ولا يشتكون أبدا ن طيلة 24 سنة من الاغتراب، وقد أشار الكاتب إلى أصالتهم ومجدهم وتاريخهم، وهو يعني بذلك البطل الجزائري بو مزراق المقراني، الذي لم تسمح له السلطات الفرنسية بالعودة إلى ارض الوطن سنة 1904م وما لبث أن مكث سنة واحدة حتى توفي في الجزائر عام بعد مجيئه.⁽³⁶⁾

ولإشارة فقط وان ابحث عن بعض المراجع و المصادر عن منفي كاليد و نيا ذكر موظف يعمل بمركز الثقافي الإسلامي لزهر" الذي قال الصديق التاوتي الذي زار مدينة بسكرة سنة 1994م وألقى محاضرة هنالك حول المنفيون الجزائريون إلى كاليد و نيا ، وقال انه وذكر ألقاب موجودة في ولاية بسكرة مثل لقب قواسم وهو ما أكده احد أفراد العائلة القاطنة حاليا في الولاية وأكد كذلك زيارة أحفاد العائلة التي نفي آبائهم إلى الجزيرة، وقدموا ، إلى بيتهم كذلك " ولقب يعقوب وهو ما أدل به احد أفراد العائلة حيث زودنا بحكم يعود إلى سنة 1877م أي بعد القضاء على ثورة المقراني و الحداد اعطني حكم غيابا صادر من محكمة سيد عقبة ، ويقول ان مفاد هذا الحكم انه لأحد المنفيين إلى جزيرة كاليد و نيا ترك من حلاله توصية لورثته. انظر الملحق رقم 2، وهكذا وبعد مرور أكثر من 130 سنة يبقى هؤلاء الرجال آية في الاحترام والجد والإنسانية ووجب علينا رد لمهم الجميل.

3- منظور القانوني الدولي لجرائم فرنسا في الجزائر(الهجرة):

وهكذا قد وصلنا الى معالجة الفكرة الأخيرة، وهي منظور القانون الدولي الإنساني في الجرائم التي ارتكبتها فرنسا وسنخص بالحديث عن جريمة الهجرة ما دمنا نعالج قضية المنفيين الجزائريين إلى جزيرة كاليد ونيان الجديدة.

مما لا شك فيه إن القانون الدولي الإنساني يحظر على دولة الاحتلال القيام بالتهجير، والإبعاد القسري لأشخاص المحميين سواء كانوا معتقلين أو يقضون عقوبة السجن أو ليسوا في الحجز، من أراضي محتلة وبحسب اتفاقية جنيف الرابعة المادة 49 " يحظر النقل الجبري الجماعي أو الفردي لأشخاص المحميين أو نفيهم من الأراضي المحتلة إلى أراضي دولة الاحتلال وإلى أراضي أية دولة أخرى، محتلة أو غير محتلة أيا كانت الدواعي" كما يحظر النقل الجبري من نفس الاتفاقية. ويظهر جليا أن فرنسا لو أردت احترام القانون الدولي الإنساني لترجمت قواعد هذا القانون إلى عدم الإقدام على تهجير العديد من الجزائريين إلى خارج أوطانهم ليس إلى جزيرة كاليدونيا فحسب بل إلى بلدان أخرى مثل سوريا وتونس وغيرها من بلدان العالم.⁽³⁷⁾

ويظهر من هذا التحليل بان فرنسا قد ارتكبت وحسب القانون الدولي الإنساني أبشع الجرائم الإنسانية في حالة الجزائر، وليحسن الحظ ان مسؤولية قواتها لا تسقط بالتقادم وفق للقانون وبالتالي تظل ملزمة بالتدخل التعويضي الكامل عن الجرائم التي ارتكبتها خلال احتلال الجزائر وحق أحفاد جزيرة كاليد ونيان مطالبة فرنسا بتعويض لما سببته من معاناة للمنفيين، وهو اقل رد للجميل وفقنا الله لخدمة البحث العلمي الجاد والذي يخدم امة الجزائرية ووطننا العربي

خاتمة:

وفي الأخير يبقى السؤال مطروح هل يمكن مطالبة فرنسا اليوم بتعويض لما اقترفته من جرائم في حق الجزائريين الذين نفوا إلى هذه الجزيرة ظلم وعدوان، وهي الداعية لاحترام حقوق الإنسان في هيئة الأمم المتحدة وكانت من بين الدول الملزم بتطبيق ما جاء في المواد 1،2،3 والتي تنص على احترام كرامة وحرية وقيمة الشخص الإنساني و الموقعة كذلك على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والتي نصت المادة الأولى والثانية منه على ان جميع الناس يولدون أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق وكذلك كل الاتفاقيات الدولية والقانون الدولي، وفرنسا احد أطراف والسؤال الذي يمكن طرحه هل ان هذه الجرائم تسقط بتقادم.

الملحق رقم 1

نص الوثيقة الثالثة :

رسالة سي عزيز الحداد من منفاه بكاليدونيا الى إخوان أبيه بالجزائر

من عبد ربه ⁽¹⁵⁾ الجواد عبده أعزى ابن الشيخ الحداد لطف الله به يوم الميعاد الى سائر الأحباب الباقين في عهدهم من المقاديم والاخوان الى والدي وشيخي المرحوم ، نفعي الله واياكم ، ببركاته وحشرفي واياكم في زمرته وعنايته أمين ، منهم الفاضل السيد الحسين بن شعلال وأهله والسائل عنا وعنكم من المقاديم والاخوان من غير تخصيص كل واحد باسمه عليكم جميعا سلام الله تعالى ورحمته وبركاته ان كنتم بخير فالحمد لله على ذلك وان سألتكم عن ذلك فترانا بخير نرجو دائما من خالقنا ورازقنا العفو بجمع شملنا ان شاء الله ونطلب منكم صالح دعائكم باصلاح الحال والمآل ظاهرا وباطنا كما هو منا لكم مثله وعلى الله الاجتماع ان شاء الله . وبعد قد بلغني عليكم الخير التام وانكم وقفتكم وقوف الصادقين على عيالنا وسترتهم عرضهم وونستم وحشتهم بنفقتكم وسؤالكم عليهم كل واحد منكم على قدر طاقته قولا وفعلا وقصدتم بذلك وجه الله العظيم ووجه شيخكم المرحوم وذلك كله يشهد لكم بالصدق والوفاء ببارك الله فيكم وأحسن لكم كما أحسستم الينا ولا شك أن وفاءكم هذا مع شيخكم بعد وفاته أنفع وأزيد لكم من حبه له في حياته وأجركم عند الله لا يخيب ولا يضيع قال تعالى : «والله لا يضيع أجر

15 - تسلمت نسخة من هذه الرسالة من الشيخ المهدي البوعبدلي القاطن ببطوية الذي نقلها هو الآخر من الأصل الذي سلمه اليه محمد الشريف شعلال بحاة يوم 25 ربيع الأول 1368 .

وصايا الشيخ الحداد ومذكراته ص 162-164 د: يحي بوعزير المرجع السابق



موقع ويكيبيديا يوم 10-10-2019م على الساعة 10.00 صباحا.

- (1) سعدي بزيان ، " الجالية الجزائرية في المهجر " ، مجلة الثقافة ، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر السنة الثانية والعشرون، العدد ، 114، 1997م، ص 46-47.
- (2) بطاش علي، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871م، دار الامل للطباعة ، الجزائر، 2007م، ط 2، ص 10.
- (3) نفسه ص 11.
- (4) شارل روبير اجرون ، الجزائريون المسلمون وفرنسا، 1871-1919م، ج1، ترجمة حاج مسعود ، دار الرائد الكتاب الجزائر، ب ط ، 2007م ن ص 18.
- (5) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر و العشرين، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1980م، ص 192
- (6) نفسه، ص 195
- (7) Rinn. louis ; histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie ; Alger 1889 pp20-22 .
- (8) د بوعزيز يحي ثورات الجزائر ' في القرنين التاسع عشر و العشرين، ج1 منشورات التحف الوطني للمجاهد، وهران ط 1996، 19، 2، م، ص 232.
- (9) نفسه ص ص 233-234.
- (10) اوصديق الطاهر، حركة انتفاضة 1871م، المؤسسة للنشر و الاشهار ، روية، 1984م ص 8
- (11) مصطفى الاشرف، الجزائر الامة والمجتمع، ماسبيرو، باريس، 1965م، ص 25
- (12) تاوتي صديق، المبعدون الى كاليديونيا الجديدة، شركة الامة للطباعة والنشر ، الجزائر ط1، 2007م، ص 34.
- (13) بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرن... المرجع السابق ، ص 234.
- (14) بوعزيز يحي ،ثورة الباشاغا محمد المقراني و الشيخ الحداد عام 1871م، دار البصائر للنشر و التوزيع، 2009م، ص 85
- (15) العسلي بسام، محمد المقراني وثورة 1871م، الجزائرية ، دار النفائس، بيروت،، ط2، 1983م، ص 100.
- (16) بوعزيز يحي، ثورة الباشاغا محمد المقراني.. المرجع السابق، ص 89
- (17) بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر ، النسخ ، الولي ، مرجع سابق، 47.
- (18) بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى للغاية 1962م، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص 147.
- (19) نفسه ، ص 47.
- (20) روبير اجرون شارل، المرجع السابق ص 50
- (21) الصادق دهاش ، " نتائج ثورة 1871م اوابعادها ومظاهرها"، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر، العدد 14 السداسي الثاني، 2006م، ص 18.
- (22) د: بوعزيز يحي، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات، ابنه، سي عزيز، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، بط 1989م، ص 4-42،
- (23) دهاش الصادق، المرجع السابق، ص 20.
- (24) نفسه، ص 20.
- (25) نفسه، ص 21.

- (26) نفسه، ص 22
- (27) بوعزيز يحيى، ثورة الباشاغا محمد المقراني.... المرجع السابق، ص 216-320-221.
- (28) الزبير سيف الاسلام ، ثورة المقراني في حديث مع الاولاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م ص 64.
- (29) شارل روبيير اجرون ، المصدر السابق ، ص 90-127
- (30) سعد الله ابو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، 1830-1954م، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1998م ، ص128.
- (31) زوزو عبد الحميد ، ثورة الاوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م ، ص 44-45
- (32) تاوتي الصديق ، المرجع السابق، ص 152
- (33) نفسه ص153
- (34) نفسه، ص156
- (35) د جيلالي صاري، " مصير ثوار 1871م لإ] معتقلهم بكالدونيا الجديدة ، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة والسياحة في الجزائر، السنة السادسة عشر ، العدد 94، 1986م، ص 117-118
- (36) نفسه ، ص119.
- (37) سعد الله عمر، القانون الدولي الانساني والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار هومة، ب ت، ب دون ط ص، 204214.